نشأة وتطور التيارات المتطرفة في التاريخ الإسلامي

م. جواد كاظم شايب

جامعة القادسية/ كلية الآداب

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأكرم محمد المصطفى الأمين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، أما بعد:

إنَّ الحفاظ على مصادر التشريع الإسلامي من كلِّ وافد غريب مهمة تقع على عاتق كلّ أفراد هذه الأمة من دون استثناء لاسيما علماؤها ومثقفوها، وذلك بهدف الحفاظ على معالم العقيدة الصحيحة التي تشكل حجر الزاوية في بناء الإنسان فكرياً وحضارياً.

إنَّ التشريع الإسلامي يستند إلى عدة أركان وثيقة تستوعب مختلف جوانب الحياة وأبعادها، وتمتلك مقومات الحصانة والبقاء والاستمرار، قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»، ولم يرحل خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه واله وسلم) إلاّ وقد اكتملت معالم الدين الإسلامي الحنيف بأبعادها المختلفة (اليومُ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً) وبعد تمام الدين وإكماله وتحديد الرسول الخاتم (صلى الله عليه واله وسلم) مصادر التشريع التي أمر بها الله تعالى، ليس ثمة أحد يمتلك حق الزيادة أو النقصان في أمر الدين القويم وشريعته السمحاء، ومن يحاول ذلك فهو مبتدع ومفترٍ ومقدّم بين يدي الله ورسوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذَّب بآياته إنّه لا يفلح الظالمون)، وقال تعالى(يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله)، لذلك إنَّ الإحداث في الدين معول هدّام في صرح التشريع الإسلامي الوثيق، وهو من أخطر ما يهدد كيان الأمة بالإنهيار والفرقة.

ومن هنا أكد الشرع القويم على خطورة التطرف على معالم الدين ووحدة المسلمين، وأكد على ضرورة مجابهتها باعتبارها نداً مقابلاً للسُنّة وضداً لا يلتقي معها أبداً، قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): «من أدى إلى أُمتي حديثاً يقام به سُنّة أو يثلم به بدعة فله الجنة» وبدون هذه المواجهة سيصبح التطرف بضاعة رائجة في سوق التشريع والتعامل

تؤدي إلى ضياع السُنّة وبيعها بثمنٍ بخسٍ هو ثمن الأهواء والتعصب قال (صلى الله عليه واله وسلم): «لا يذهب من السُنّة شيء حتى يظهر من البدعة مثله»، لذلك أمر الشارع بمقاطعة المتطرف في الدين قال (صلى الله عليه واله وسلم): (من أتى ذا بدعة فعظّمهُ فإنما يسعى في هدم الإسلام) وأمر أيضاً بإظهار العلم مقابل الكذب والافتراء ليكون حدّاً فاصلاً بين السُنّة والتطرف قال (صلى الله عليه واله وسلم): «إذا ظهرت البدع في أُمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»، ومع ذلك كلّه فقد حدث تطرف كثير بعد عصر رسول (صلى الله عليه واله وسلم) وبقيت مستمرة وله أتباع كثيرون حتى اليوم، فهي افتراءات على الله سبحانه وضلالات عن الدين الحنيف وإنْ حاول أُولئك الأتباع الدفاع عنها تحت عنوان «الاجتهاد».

وهناك في المقابل قوم آخرون من أهل التطرف، توسّعوا في مفهوم التطرف فزعموا شموله لكلِّ أمر حادث في الحياة بعد رسول الله أو بعد ثلاثة قرون منذ عصره (صلى الله عليه واله وسلم) وهم في ذلك يدّعون الحرص على الدين والتقيد بالسُنّة النبوية الشريفة، وبذلك عزلوا الشريعة السمحة عن التفاعل مع حياة الناس فجعلوها جامدة وكأنها لا تمتلك مقومات الديمومة والاستمرار، وتناقض التطور والمدنية وتقف عاجزة أمام الحوادث المستجدة، وأيضاً أطلقوا عنوان «التطرف» على بعض الممارسات التي هي من صميم الدين، واتخذوا ذلك وسيلة للتشنيع وبث عوامل الفرقة بين الفصائل الإسلامية المختلفة وتسديد سهام النقد والتشويه لبعض العقائد المستمدة من الوحي الإلهي قرآناً وسُنّة.

يعد التطرف من المعاصي الكبيرة التي نصَّ على حرمتها الكتاب الكريم وسُنّة المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) وهي ضلالة تؤدي بصاحبها إلى سواء الجحيم، ذلك لأَن المتطرف مبتدع في الدين مفترٍ على الله ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم) (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذَّب بآياته إنّه لا يفلح الظالمون) ولأنه يسوق الأمة وفقاً لأهوائه إلى سبيل منحرف ينتهي إلى الفرقة والتناحر والاقتتال، بدلاً عن السبيل السوي الذي اختاره تعالى لسعادة البشرية، قال تعالى(وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) لذا كان من الواجب المناط بأهل العلم والمعرفة رسم الصورة الحقيقية للسُنّة المباركة وتخليصها من كلِّ دخيل وتمحيصها من التطرف والإحداث في الدين بالعرض على الكتاب والسُنّة، من دون أن يكون لدواعي الهوى وآراء المذاهب المختلفة أثر في وصف التطرف ومواردها المختلفة.

منهجنا في البحث فأنه يركز على تحديد المشكلات واستبعاد الزائف منها بعد قراءة نقدية ومتفحصة وتقييمية، مع الأخذ في الاعتبار أن جانبا كبيرا من التراث صنعه أفراد، وهذا الجانب تداخل مع تاريخ الأسلام ، وعلى هذا فتاريخ المسلمين قابل للنقد كما أنه معرض أحيانا للرفض إذا تعارض مع القرآن والسنة الصحيحة، وقراءتنا للأحداث كان الهدف منها تقديم تاريخ شامل، بمعنى تاريخ تجتمع فيه جميع الخيوط، وهذه القراءة التي تمارس النقد وفقا للكتاب والسنة تنظر إلى التراث على أنه نقطة بداية النهايات، لهذا فقد آثرت في هذه الأطروحة اعتماد الطريقة السردية التي تعتمد على آيات القرآن الكريم والحديث الشريف والرواية التاريخية.

هذ1 البحث يدور حول نشأة وتطور التيارات المتطرفة في التاريخ الاسلامي ، اذ تطرقت الى بداية ظهور التيارات في التاريخ ، ثم أسباب نشوء التيارات الاسلامية المتطرفة ، ثم العروج الى تطورها .

تعد هذه الدراسة رائدة في بابها لأنها درست موضوعا مهما، لأنه أطلعنا على خلفيات التيارات أو الفرق الإسلامية أو المحسوبة على الإسلام فوجدت الأصابع اليهودية، أو المجوسية ، أو المسيحية وراء ظهور بعض الفرق من خلال مؤسسيها الذين كانوا ينتمون الى تلك الديانات قبل الإسلام ، ولقد أنصف الدكتورمحمد جواد مشكور صاحب موسوعة الفرق الاسلامية عندما قال : (أن أغلب غلاة المسلمين من عباد الفرس والشعوب الأخرى ، ولا يخفى أن كثيرا من هؤلاء كانوا يبطنون عقائدهم السالفة أو يظهرونها بقالب إسلامي ، لذلك نجد الأفكار الترقيعية الهجينة) .

أما الصعوبات أو المعوقات التي واجهتها خلال كتابة الكتاب ،فان الكتب التي دونت حول التيارات أو الفرق الإسلامية ، رغم كثرتها ، يعوزها الجانب التحليلي والدقة والأمانة ولايمكن الاطمئنان الى جميع ماكتب ، لان بعض التيارات قد نشأت بدافع سياسي

أما المصادر والمراجع التي أعتمدت عليها فهي كثيرة لإنجاز هذه الأطروحة والوصول بها الى ماكنت أصبوا اليه ، وبالتالي تحقيق مبتغاها وأهمها : نهج البلاغة للإمام علي (40هـ) شرح ابن ابي الحديد(656هـ) والفرق بين الفرق للبغدادي (429هـ) وفرق الشيعة للنوبختي(300هـ) وتاريخ بغداد للخطيب الغدادي (463هـ)، والملل والنحل للشهرستاني(548هـ) ،ومقالات الاسلاميين للاشعري (324هـ) ، والأحكام لأبن حزم(456هـ) ومعجم البلدان للحموي(626هـ).

وأعتمدت كثيرا على الفرق الإسلامية لمحمد جواد مشكور ،وهوية التشيع للوائلي،ومظاهر الشعوبية لمحمد نبيه،وعقائد السنة والشيعة للورداني ، ومعالم الفتن لسعيد أيوب ، ونشوء الفرق الإسلامية للشاكري، والجذور التاريخية للشعوبية لعبد العزيز الدوري والزندقة والشعوبية لسميرة الليثي ودراسات في الفرق والعقائد لعرفان عبد الحميد، وضحى الإسلام لأحمد أمين(1373هـ) وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ومجمع البحرين للطريحي (1085هـ) والشيخ الطوسي ومذاهب الإسلاميين في علوم الحديث لحسن الحكيم ، وغيرها.

وأعتمدت على بعض المعاجم في ضبط التعريفات لغة مثل : صحاح اللغة للجوهري، والقاموس للفيروز ابادي، ومعجم الفاظ الفقه الجعفري لاحمد فتح الله ، ومقاييس اللغة لابن فارس،والمجمع للهيثمي وتاج العروس للزبيدي (1205هـ) ولسان العرب لابن منظور (711هـ) وغيرها.

وأخيرا أقدم شكري وتقديري الى كل من قدم لي المساعدة والنصح والارشاد أو أعارني كتابا ، وأبتهل إلى الله العلي القدير أن يتقبل عملي هدا ، ويأخذ بيدي إلى صراط الحق ، أنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

نشأة وتطور التيارات المتطرفة في التاريخ الإسلامي

العداء للإسلام متأصل منذ فجر الدعوة الإسلامية يتوارثه الأبناء عن الأحفاد ، لأن دعوة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) منذ بدايتها كانت موجهة إلى الناس كافة ، سواء منهم العرب أو غيرهم ، وثنيون كانوا أو يهود أو نصارى أو مجوس ، فهي لم تختص بطائفة من دون أخرى ، ولا بقوم من دون قوم ، ولا بقطرمن دون آخر ، بل دعوة لرسالة السماء عامة (عالمية الاسلام) ، ولا بد أن تجابه هذه الدعوة بأقوى عدة وبأكثر عدد من المعارضين الذين قضى الإسلام على عقائدهم الفاسدة ومجدهم الغابر ، وهدم هياكل وبيوت عبادتهم التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى ، كما هدم صروح الكبرياء والأنانية وأزال عروش الظلم والاستبداد ، فلم يخضع لهذه الدعوة جبابرة قريش الذين ملكت الأنانية قلوبهم ، ولا الأباطرة من ملوك النصارى أو اليهود ، وزعماء الكنيسة ، وعبدة الأوثان من المشركين ، وهدم النظام الاستبدادي المتعسف بنظام العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين الناس كافة ، فشعرت هذه العناصر بخطر الدعوة ، فكانت للوثنية جذورها العميقة في الجزيرة العربية ، ولليهودية قواعد قوية في بلد الهجرة (المدينة المنورة وما حولها) ،

وللنصرانية قوة في الشمال ، ولها كنائس وأتباع منبثون في مهد الدعوة ، فضلا عن ذلك وجود المجوسية ومعابدها التي تدعمها دولة قوية تدين بدينها ، وكل هذه العناصر لا يروق لها انتشار هذا الدين وظهوره ، فتظاهر الكل بالعداء للإسلام ، وانتظم عقدهم وتكتلوا لشن حروب شعواء لا هوادة فيها ، حتى نصر الله رسوله(ص) فتيقنوا أن لا أمل لهم مطلقا في القضاء على الإسلام فاندحروا خائبين [1]إن المجتمع الذي بدأ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ببث دعوته الإلهية فيه والذي استمرت الدعوة معه كبقية المجتمعات التي كانت تسودها آراء الجاهلية ، وتهيمن على نفوسهم الأطماع الدنيوية المختلفة ، ولذا فمن الطبيعي أن يكون فيه أناس صلحاء أتقياء يفدون الرسالة بأنفسهم وبكل غال وثمين ، وأيضا لا يخلو من شرذمة ممن لم يتمكن الإسلام فضلا عن الإيمان من قلوبهم ، وهؤلاء هم الذين كانوا وقودا للفتن التي جرت على المسلمين وويلاتها عبر تاريخ الإسلام ، والقرآن يصنف هؤلاء إلى صنفين :الأول : وهم المستضعفون من الرجال والنساء والأطفال ، قال تعالى :(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) [2]، ومما لا شك فيه أن جهل هؤلاء قد أعان على قوة شوكة المنافقين وأعداء الإسلام ،الثاني : المنافقون وهم صنف قد أثبت القرآن وجوده في زمن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، وأثبت التاريخ الكثير من مكائدهم للإسلام وللمسلمين اذ قال تعالى : (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) [3] وقال تعالى : (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه)، [4] وقال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) [5] ومما حكاه القرآن من بغضهم للإسلام ما حدث من رئيس المنافقين في المدينة حين قال تعالى على لسانهم:(لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) [6]

فالنفاق والمنافق كحقيقة واقعية أثبتها القرآن في عدة مواضع ، وكفانا أن نقرأ ترجمة حذيفة بن اليمان وأنه قد أودعه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أخبار المنافقين وأسمائهم ، بل يروى أنه وقت نزول سورة التوبة كان البعض يسألونه فيما إذا ذكرت أسماؤهم في ضمن المنافقين أم لا [7]

وقال المنافقون في النبي (صلى الله عليه واله وسلم):أنه كان يحمل عائشة على كتفه يريها اللغب في المسجد [8] وإن المغنيات كن يغنين بحضرته[9] وكان له قعب[10] من عيدان تحت رأسه يبول فيه في الليل ، وكان يطارد مع بعض نسائه في موسم منى[11] ونطق الشيطان على لسانه وداخله في القراءة لما قرأ : (والنجم إذا هوى) [12] فلما قرأ : (

أفرأيتم اللات والعزى) [13] ،وكان يوما في الصلاة ودقت عائشة الباب وانفلت وفتح الباب لها ورجع ، وصلى يوما وعليه غسل جنابة واغتسل ورجع وأتم الصلاة بالجماعة ، وغلط في صلاة الجماعة [14]، إلى غير ذلك مما يضيق المجال من كتبهم مما نقلوه في آيات الذم فيه ، وما يدل على الجهل النائي لمراتب النبوة ، وكذا ما قالوه في الإمام ، وما سلبوه عنه من الصفات وأثبتوها فيه ، وهو ينافي ما سمعت فيمن جعله الله الخليفة ورسوله ، وما وصفه به في محكم كتابه ، وعلى لسانه (صلى الله عليه واله وسلم) [15] .

وكذا باقي أهله الطاهرين المطهرين ، وما فعلوا بهم من القتل والأسر والسلب والنهب والصلب والغصب ، ومما يفطر ذكره الصلد ، وبكت له السماء والأرض عكس ما أمر الله فيهم ، وحث عليه رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) ، فوالله لو أوصاهم بضد ما قاله فيهم لما فعلوا عشر معشار ما فعلوه فيهم ، ولكن ذلك يكشف عن نفاق كامن انطوت عليه السرائر ، وسرته الضمائر حتى انتهزوا الفرصة فأظهروا ما أسروا وحاولوا جهدهم في إطفاء نور الله بأفواههم[16] (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[17].

دخل بعضهم الإسلام اعترافا منهم بعجزهم عن مقاومته ، وآخرون اعتقدوا صدق الدعوة فاستجابوا لها وأسلموا ، وفئة ثالثة دخلوا الإسلام نفاقا فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وبقي الحقد يأكل قلوبهم ، والغيض يحز في نفوسهم ، فهم يتوارثونه ويتحينون الفرص ويتأهبون للوثبة ، ويعملون من وراء الستار ، وينتظرون الفرصة واليوم الذي ينتقمون فيه من الإسلام وأهله ، ولعل أول عهد حقق آمالهم هو الحكم الأموي، لأن حكامهم قد رفضوا الخضوع لنظم الإسلام وقوانينه ، فكان دورهم فتحا لتلك العناصر المعادية للإسلام ، فقد سنحت الفرصة ، وكان لأمرهم متسع ، فقد قرب الأمويون بعضهم ، وجعلوا منهم أداة سياسية يستعينون بهم على ترويج دعاياتهم ، وإظهار مقاصدهم ، كما أقام معاوية، كعب الأحبار ، وهو يهودي أسلم في عهد عمر ، فغير مجرى الحوادث والتأريخ ، وأدخل الإسرائيليات في صميم تأريخ الإسلام وعلى كل حال فإن تعرض الإمام الصادق (عليه السلام) لهم والبراءة منهم وإعلان ذلك للملأ ، هو امتداد لحركة الأئمة ضد خصوم الإسلام في الحكم الأموي ، الذي كان مسرحا على لوحته الأمور المناقضة للإسلام والمخالفة لمبادئه ، وقد وجدوا أن أقرب طريق يوصلهم إلى غاياتهم الضالة وتحصيل أمنياتهم هو الدخول في صفوف المسلمين ، والعمل بكل الطرق المتاحة لهم على تفريق كلمة المسلمين وبث روح العداء بينهم ، فتفرقوا لهذا الغرض فرقا وأحزابا ، فمن مستجلب ود السلطان لينال

مركزا مهما في الدولة ، يستطيع بواسطته أن يفسد بعض الأمور ويغير بعض الحقائق ، ومنهم من سلك طريق إظهار المحافظة على الإسلام والانتصار له ، والرد على ما يلصقه به إخوانه الذين سلكوا سبيله في تشويه سمعة الإسلام ، ومنهم من ضرب على وتر حساس يستطيع به أن يستميل القلوب ، ويحرك العواطف والمشاعر بإظهار حب أهل البيت (عليه السلام) والغلو فيهم ، من حيث تأليب جميع الفئات الحاكمة على ظلمهم من دون مراقبة الله تعالى ولا مراعاة لحرمة رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) [18]

توزع هؤلاء المنافقين على جميع الطوائف الإسلامية ، فاندسوا في صفوفهم وامتزجوا في مجتمعهم ، فهذا سوسن النصراني كان أول من نطق بالقدر وقد أظهر الإسلام ، وعنه أخذ معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد [19] ثم عاد سوسن إلى النصرانية بعد أن بث فكرته وسمومه ، وهذا ابن كلاب من بابية الحشوية ، وكان عباد بن سليمان يقول : إنه نصراني ، قال أبو عباس البغوي : دخلنا على فيثون النصراني [الراهب] وكان في دار الروم بالجانب الغربي ، فجرى الحديث إلى أن سألته عن ابن كلاب فقال فيثون : رحم الله عبد الله (اسم ابن كلاب) كان يجيئني فيجلس إلى تلك الزاوية – وأشار إلى ناحية من البيعة – وعني أخذ هذا القول ، ولو عاش لنصرنا المسلمين أي لجعلناهم نصارى ، ذكرنا هذا الحديث على سبيل المثال لما يفعله أصحاب الديانات الأخرى الذين كانوا يستغلون الفرص للتدخل في صفوف المسلمين [20].

ومن أبرز الأسباب في تضخم الحديث هم اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الديانات الأخرى اذ أدخلوا في الأحاديث أمورا كثيرة من دياناتهم وأخبارهم ، فملئت الأحاديث بما في التوراة وحواشيها ، وبعض أخبار النصرانية وبعض تعاليم الشعوبية كالأحاديث التي تدل على فضل الفرس والروم ، ولو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام – كالقرآن – لا يقوم إلا عليها ، ولا يؤخذ إلا منها ، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرفها ويتبع ما فيها ، كما يتبع ما في القرآن ، وكان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قد أمر أصحابه أن يحفظوا هذه الأحاديث لكي تؤثر من بعده لكان أكثر الصحابة رواية لها ، أعلاهم درجة في الدين ، وأثبتهم قدما في الأيمان ، وأسناهم مرتبة في العلم ولكان المقلون منهم في الرواية دون المكثرين في رتبة الدين ، ووراءهم في درجة العلم والفضل ، وخلفهم في منزلة الاعتبار ، ولكنا نجد الأمر على ما بدا في كتب الحديث المعروفة قد جرى على خلاف ذلك فإن أفضل الصحابة في المرتبة ، وأرفعهم في المنزلة وأوسعهم علما بالدين ، وأشدهم عناية به ،

وأقواهم حياطة له ، الذين انيط بهم حمل أحكام الدين بما تلقوه عن أستاذهم الأكبر كالخلفاء الراشدين والعشرة الذين قالوا إنه (صلى الله عليه واله وسلم) قد مات وهو راض عنهم – أو بشرهم بالجنة ، وكبار المهاجرين والأنصار وغيرهم كل أولئك كانوا أقل الصحابة تحديثا عنه ، وأنزرهم رواية، حتى لقد بلغ الأمر ببعضهم أنه لم يرو عن الرسول حديثا واحدا ولم يقف الأمر بهم عند ذلك فحسب ، بل قد وجدنا كبار الصحابة لايرغبون رواية الحديث وينهون إخوانهم عنها ، ولقد أدى بهم فرط الاحتياط إلى أن كانوا يحرقون ما يكتبون منها وتوجد ترجمة خاصة لمن كان أكثر الصحابة تحديثا عن رسول الله ، وأوسعهم رواية ، على حين أنه كان من عامة الصحابة ، وكان بينهم لا في العير ولا في النفير، قد استفاضت في كتب الحديث ، وأخذت مكان الاعتبار والتصديق من قلوب المسلمين ، وسيطرت على عقولهم وأفكارهم ، وجعلوها من عام دينهم، على ما فيها من مشكلات تحار فيها عقول المؤمنين ، وشبهات وخرافات تتخذ مطاعن على الدين ، وأسانيد يتكأ عليها في إثبات الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها من الملل والنحل [21]

ثمة من يقول أن المسلمين كانوا كلهم متمسكين بمعتقد واحد طوال القرون الثلاثة الأولى ، وأن العقائد الباطلة والفاسدة ظهرت بعد تلك القرون ، لكن تاريخ ظهور الملل والنحل في المجتمع الإسلامي يفند ذلك الادعاء والتفسير ، فقد ظهر الخوارج في أواخر الثلاثينات الهجرية وكانت لهم عقائد متطرفه خضبوا بسببها وجه الأرض بالدم وقتلوا الأبرياء ، ولم تكتمل المائة الأولى حتى ظهرت المرجئة الذين دعوا المسلمين إلى التحلل من الضوابط والالتزامات الشرعية ، رافعين عقيرتهم بالنداء بأنه لا تضر مع الإيمان معصية ولم يمض وقت طويل على ظهورهم حتى ظهر المعتزلة عام 105 ه قبل وفاة الحسن البصري بقليل ، فتوسع الشقاق بين المسلمين ، وشهدت المائة الهجرية الثانية توسع الأبحاث الكلامية وانبعاث المذاهب المتعددة ، وأصبحت حواضر العالم الإسلامي ميدانا واسعا لتضارب الآراء والأفكار [22].

ما أحوج المسلمين من أول يومهم إلى التآخي والتساند تجاه سيل الإلحاد الآتي ، لكن كثيرا منهم يتأثرون بتسويلات أجنبية من حيث لا يشعرون ، فأهواء مردية ، تحدوهم إلى التشعب ، وآراء فاسدة تفت في عضد الجماعة ، ونزعات طائفية ، ونعرات قومية ، وعوامل داخلية ، وعواطف حزبية تلهينا عن سد الثغرات ، أضف إلى ذلك كله نزعات شعوبية ، وتبجحات بالعروبة فحسب ، فهذه كلها تفضي إلى شق العصا ، وتفريق الكلمة،

ونصب عين الكل تعليمات النبي الأقدس ، و تقديره الشخصيات المحلات بالفضائل من مختلف العناصر بمثل قوله : سلمان منا أهل البيت [23]، وقوله : لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس [24] إلى الكثير الطيب من أمثاله ، فعلى المسلم أن لا يتخذ تلك الآراء الشاذة خطة لنفسه ، ولا يصفح عن قول النبي الأمين(صلى الله عليه واله وسلم) : ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية [25]، وقوله (صلى الله عليه واله وسلم):من قاتل تحت راية عمية يغضب للعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية [26]

المبحث الثاني

بداية ظهور التيارات في التاريخ الإسلامي

لا شكّ أن تعدد التيارات وكثرتها ليس مقصوراً على المسلمين فحسب بل هو موجود بين أتباع جميع الديانات وهذه حقيقة لا بد من تثبيتها، فإن من يعيب يعاب، ومن يتتبع العثرات، يقع في فخ من يتتبع عثراته، بل وان التعدد يشمل كافة أصحاب المبادئ الوضعية، فهو قائم ما دام التناسب طردياً بينه وبين طبيعة النفس الإنسانية، وبما إن الاختلاف سنة كونية، فالتعدد محصلة طبيعية من محصلاته، هذا مع ما يحمله من سلبيات، فلا يخلو من إيجابيات، لا غرو إن المسلمين في غنى عنها إذا ما قيست بالسلبيات المتراكمة ومخلفاتها، فلا يحمد تعدد الفرق بين المسلمين لما تركه من نتائج مذمومة عليهم.

لقد طفق داء التفرقة ينهش في كيان الأمة الإسلامية من يوم رحيل الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله وسلم) فكانت فرق المسلمين عرضاً من أعراضه الوبيئة، وكل منا ينعى ذلك التمزق الذي طرأ على الأمة الإسلامية من دون أن يأخذ منه موقفاً صارماً حديّاً، أو يتلمس حقائق التاريخ بإنصاف، فإن من أروع روائع التاريخ هو اتفاق المسلمين على قطعية صدور بعض الأحاديث عن نبيهم الكريم ومن هذه الأحاديث: حديث الثقلين الذي يشكل عاملاً وقائياً يحصن المسلمين بمناعة ضد تفشي مرض التفرقة، وداء تعدد الفرق.

يرى بعض الباحثين ان بدايات ظهور الفرق تعود إلى عصر الرسالة الأول الذي ينقسم إلى ثلاث مراحل[27] :

الأولى:وتبدأ بوفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وتنتهي بخلافة

عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، وهي المرحلة التي نستطيع أن نعبر عنها بالمرحلة الجنينية، وتكمن أهميتها في أنها مهّدت لظهور الفرق المتأخرة حيث اتخذ منها أصحاب هذه الفرق ذريعة لاختلافاتهم، وأهم ما تتميز به هو بروز الفريق المهاجري، والفريق الأنصاري، والفريق الهاشمي، مع انحسار الفريق الهاشمي الذي يمثل الامتداد الطبيعي للنبوة.

أما **المرحلة الثانية** فتبدأ بخلافة عثمان(رضي الله عنه)، وتنتهي بمقتله(37هـ)، وتميزت ببروز الخط الواعي الذي جسده جمع من المسلمين الذين ثأروا لدينهم وكرامتهم، وكذلك تميزت بظهور الفرقة الأموية وعلوّ كعبها.

وأما **المرحلة الثالثة** فتبدأ بخلافة الإمام علي (عليه السلام) وتنتهي باستشهاده. وتميزت هذه المرحلة بظهور الناكثين والقاسطين والمارقين الذين جنوا على الإسلام، وارتكبوا أبشع الجرائم بإشغالهم الخلافة الإسلامية عن الفتوحات ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة، ووجهوا للرسالة الإسلامية ضربة قاصمة مؤلمة بتعطيلهم دور الإسلام في الحياة، وتوظيف كافة إمكانياتهم لتحقيق ذلك الغرض، وجسّدوا التزمت والعنّت والجهل والحمق بكل ما لهذه الكلمات من معنى، والأنكى من ذلك أنهم (يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) [28].

جاء بعد عصر الرسالة الأول: العصر الأموي،حيث وصف تسلم الأمويين لخلافة المسلمين بأنه رِدّة عن الإسلام، لأن بني أمية عطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأمروا بالمنكر، وحققوا جميع طموحاتهم بالكيد للإسلام تشفياً منه، وثأراً لأسلافهم الجاهليين[29].

وأهم ما يتميز به هذا العصر على صعيد الفرق هو: ظهور المرجئة و بروز الانشقاقات الكثيرة في كيان الخوارج، وبدء التشكيلات الأولى للمعتزلة، وتغذية الخلافات العقائدية وتنشيطها، وتشجيع المنحرفين على تأسيس المدارس، وعقد المجالس، وذلك لتفتيت الصف الإسلامي، والوقوف بوجه الخط الإسلامي الأصيل المتمثل بمدرسة أهل البيت (عليه السلام) [30].

ثم جاء العصر العباسي، فقويت شوكة المعتزلة، وظهرت فرقهم الفرعية الكثيرة، وبلغت المذاهب الإسلامية الخمسة أوجها، وبرز الأشاعرة كفرقة مستقلة، وظهرت فرق محسوبة على الإسلام، وليست إسلامية، حيث أسسها أفراد من الأقليات الدينية، اندسوا في صفوف المسلمين لهذا الغرض، وتمرّد بعض أصحاب أئمة أهل البيت (عليه السلام) من المنحرفين الذين لم يتمكن الإسلام من نفوسهم، فأوجدوا لهم كيانات مفتعلة بدافع العداء والبغض والحسد، وأسّسوا فرقاً كان لها دورها في تسميم عقول المسلمين، وتشتيت وحدتهم،

وتبعثر وجودهم[31].

ويعد العصر العباسي عصر تعدد الفرق الإسلامية او المحسوبة على الإسلام، وقوّتها، واستفحال أمرها حيث كانت الأجواء مساعدة على ذلك، ففتحوا الناس عيونهم، ورأوا الأمة الإسلامية الواحدة ممزقة الأوصال، تتوزعها فرق وكيانات شتّى، يرمي بعضهم بعضاً بالكفر والزندقة[32].

وهكذا عاشت التيارات اوالفرق الإسلامية أو المحسوبة على الإسلام مدّة مديدة من الازدهار والانتعاش، تلتها فترة تذبذب بين الضعف والقوة، والنشاط والركود، فبرزت فرق أخرى، وانقرضت فرق قديمة، وذوى عصر تبلور الفرق، فأفل نجمها، ولم يعد لها وجود يذكر، أعني: الوجود المنظم الفاعل، وبقيت بعض الفرق تراوح في مكانها، إلى أن آل الأمر ببقاء بعض الفرق حتى يومنا هذا لأسباب موضوعيّة .

ومن حسن الحظ إن تاريخ المذاهب الإسلامية (وهو قسمٌ مهمٌ من التاريخ الاجتماعي في الإسلام) قد نال قسطا من اهتمام المسلمين منذ أواخر القرن الثاني، وذلك لأن المسلمين – بسبب الانتشار السريع الباهر للإسلام في بلاد الفرس والروم حيث كان أهلها أصحاب عقائد فلسفية ودينية خاصة– قد واجهوا اعتراضات وتشكيكات، كان لابد لهم من المبادرة إلى جوابها، هذا أولاً.

وثانياً: على الرغم من أن قسماً من أهالي هذه البلاد قد أسلموا، لكن سماح الإسلام لبقاء الدين اليهودي، والنصراني، والمجوسي، والصابئي، أدى إلى استمرار وجود هذه الأديان في بقاع العالم الإسلامي، وبالنتيجة فإنه لابد أن تقع المشاجرات، وتحدث المناظرات بين أتباع الأديان المذكورة، وبين المسلمين، وربما قامت كل فرقة برد مخالفيها من أجل إرساء دعائم عقيدتها، وعلى هذا فلابد لعلماء المسلمين، وهم حماة العقائد الدينية للمسلمين، والمدافعون عن الإسلام، أن يجيبوا على الاعتراضات والشكوك المطروحة[33].

وكانت الانقسامات الدينية التي آلت إلى نشوء الفرق المختلفة مثل: الشيعة، والسنة، والخوارج، والمرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والفرق المتفرعة عنها من جهة، والبحث في صفات الباري –تعالى– وموضوع الجبر والتفويض، والقضاء والقدر، وسائر الأبحاث الكلامية من جهة أخرى، تفرض على كل فرقة أن ترد على مخالفيها، وذلك لترسيخ عقائدها، وإبطال عقائد المخالفين،ويمكن أن نضيف: ترجمة كتب المنطق والفلسفة في القرن الثاني، والمناقشة الحرة في المجتمعات الإسلامية[34].

إن الجواب على الاعتراضات والإشكالات المطروحة من قبل أصحاب الديانات، وأتباع كل فرقة بالنسبة إلى الفرقة الأخرى يحتاج إلى معرفة عقائدهم وآرائهم، كما يحتاج إلى المنطق والاستدلال، ولا سيّما فن الجدل، ومبادئ علم الكلام، فقام المسلمون بتأليف كتب في كلا الموضوعين (عقائد الفرق، وردّها على أساس علم الكلام)، خصوصاً كانوا يلقون التشجيع على القيام بهذا العمل من قبل الخلفاء، والوزراء، وبقية شخصيات الدولة، فمثلاً كان مروان آخر الخلفاء الأمويين (127–132هـ) على عقائد المرجئة، وكان يحرّض علماء هذه الفرقة ضدّ مخالفيهم[35].

وكان المأمون من المتكلمين الإسلاميين المشهورين حيث كان يهتم بعقد مجالس المناظرة بين أصحاب الأديان والمذاهب في مرو، حتّى قبل خلافته، وكان يراقب بنفسه منازلة الرجال المقتدرين في هذا المضمار، ونقل أنه كان يجمع العلماء والباحثين من أرباب الديانات والمقالات في بلاطه يوم الثلاثاء من كل أسبوع حيث يناظر بعضهم بعضاً بحضوره[36]، وكان يحضر في هذه المجالس أشخاص مثل (هيربداكبر) (رئيس المجوس)، (ويزدان بخت) (وعمران الصابي) (وهما من كبار المتكلمين)، (وابالش) الزنديق، وجاثليق النصراني، (ورأس الجالوت) (وهو عالم اليهود)[37]، وكذلك يحضرها عدد من علماء الفرق الإسلامية، مثل: ابن جهم، وسليمان المروزي وأمثالهما، وكان المأمون يعتقد بان الغلبة على الخصم يجب أن تكون بالحجة لا بالقهر والسلطة، وذلك لأن الغلبة التي تتحقق بالسلطة تزول بزوالها، أما الغلبة التي تتحقق بالحجة، فلا يقدر شيء على إزالتها[38].

ونلاحظ في كتب: التوحيد للصدوق، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام)، والاحتجاج للطبرسي قسماً من هذه المناظرات التي كانت تعقد في مجلس المأمون بحضور الإمام الرضا (عليه السلام) وكان البرامكة يدعمون المتكلمين، ويعقدون بأنفسهم مجالس المناظرة الدينية والمذهبية[39].

وكان يحيى البرمكي يعظّم هشام بن الحكم تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) ويحثّه على مناظرة الفرق المخالفة، حتى نقلوا أن هارون الرشيد كان يشرف على أحد مجالس المناظرة سراً، فشاهد بنفسه تغلب هشام على المخالفين[40]، وذكر ابن شهرآشوب في كتابه(مناقب آل أبي طالب) مناظرة جرت بين هشام بن الحكم وعبد الله بن اباض، رئيس الفرقة الإباضية، وكان عبد الله على مذهب الخوارج، بيد أنه كان معتدلاً بعيداً عن التطرف إذ كان على خلاف بقية الخوارج (أمثال: النجدات، والصفرية، والأزارقة) لا يرى قتال

المسلمين، ولا يبيح أموالهم، ولكنّه كان يقر بخلافة أبي بكر وعمر، وينكر خلافة عثمان، والإمام علي (عليه السلام)[41].

ويعود تاريخ المناظرات الدينية والمذهبية في الإسلام إلى عصر صحابة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، ولعلّ أول مناظرة جرت كانت بعد وفاة النبي الأكرم، ودارت حول من يخلفه، فقد اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وكان كل فريق يقيم الأدلة لإثبات أحقيته في الخلافة، إلى أن انتهت هذه المناظرات بحديث روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الأئمة من قريش، فانتخب أبو بكر للخلافة، وتكررت مثل هذه المناظرات حول موضوع الأولوية في الخلافة بين العباس بن عبد المطلب والشيخين اللذين ذهبا إلى بيت العباس لإقناع آل الرسول (الذين لم يشتركوا في موضوع التباحث حول الخلافة)، ولكن العباس ردّ على أدلتهما[42]، واستمر ذلك الموضوع محلاً للمناقشات والمناظرات بين أنصار علي (عليه السلام) وأنصار الخليفة[43].

ولو تركنا المناظرات الدينية والمذهبية جانباً، فإن تاريخ الأديان نفسه مذكور في القرآن الكريم، فمثلاً في سورة البقرة ما يقارب ستين آية (40–100) تتحدث عن قصّة بني إسرائيل، وخرقهم لقانون السماء، حيث بدأت بذكر الأعمال الوحشية والهمجية التي كان يقوم بها فرعون ضد بني إسرائيل من قتل أولادهم، وتعذيبهم، وما إلى ذلك، ثمّ تطرق إلى أعمالهم: نجاتهم بعد غرق فرعون، عبادتهم العجل، طلبهم من موسى رؤية الله، نزول المن والسلوى عليهم، جحودهم وطلباتهم التافهة، طلبهم اثنتي عشر عيناً بعدد طوائفهم، خرقهم لقانون حرمة السَّبْت، إشكالاتهم حول ذبح البقرة، إخفاؤهم قتل النفس[44].

وردت في القرآن قصص الأمم والأقوام السالفة: قوم نوح، قوم لوط، قوم إبراهيم، قوم شعيب، قوم هود، أصحاب الكهف، قوم سبأ مع جوانب من حياة هذه الأقوام، ومن الجدير بالذكر ان الاكتشافات الأثرية في العصر الأخير تدعم وتؤيد ما ورد في القرآن حولهم، مثل قصة نحت الجبال، واتخاذها سكناً: (وتنحتون الجبال بيوتاً...)[45] وكذلك المعلومات المتعلقة بقوم سبأ، ودمار سد مأرب، وعاد وثمود الذين تكرر ذكرهم في القرآن هم أقوام عاشوا في التاريخ، ولهم وجود تاريخي بصورة تامّة [46] كما في قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرَمَ ذات العماد)[47].

وكان قوم ثمود يقطنون في شمال الحجاز على الطريق بين الحجاز والشام، وهؤلاء القوم من أقدم الأقوام في شمال شبه الجزيرة العربية، ونجد أنهم قد ذكروا في الكتابات

الآشورية العائدة إلى القرن الثامن قبل الميلاد. ونقل أن (سادكن) قد أسر عدداً منهم في سنة 715ق.م، وكذلك يلاحظ ذكر أخبارهم في الكتابات اليونانية حتى أوائل القرن السادس[48].

وبخصوص ما يعود إلى قوم سبأ وسد مأرب المذكورين في القرآن، فإن من حسن الحظ وجود كتيبات مفصلة حول سكناهم، تحكي عن حكومتهم العظيمة آنذاك، وامتدّ عصر هذه الحكومة –التي بدأت بالسبئيين وانتهت بالحميريين– أربعة عشر قرناً، مع طيّها لأربع مراحل، واستمرت المرحلة الأولى منذ بدء تشكيل الحكومة السبئية حتى ما يقارب سنة 550ق.م، وكانت عاصمتها في مدينة صِرواح شرق صنعاء، وعثر في الكتيبات الموجودة على أسماء خمسة عشر ملكاً من ملوكهم، قام أحدهم بتشييد سد مأرب في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وانتقلت العاصمة بعد ذلك من مدينة صرواح إلى مدينة مأرب العامرة الكبيرة[49].

ومن الطبيعي فإن ما ورد في القرآن عن هؤلاء القوم ليس أكثر من إشارات عابرة، ولم تذكر فيه تفاصيل وجزئيات عقائدهم، وأسماء ملوكهم وحكامهم، لأن القرآن لا يهدف من وراء هذه القصص أن يذكر سرداً تاريخياً لحياة أولئك الأقوام، بل يهدف إلى الاتعاظ والاعتبار من قصصهم، ولكن مع هذا الذي ذكرناه كله فإن القرآن قد ذكر جوانب من تاريخ الأديان السالفة.

وما يتعلق بالفرق الإسلامية، فإن أول وثيقة مدوّنة منذ عصر الصحابة (النصف الأول من القرن الأول الهجري) احتجاج الامام علي (عليه السلام) في جواب معاوية، نقله الطبرسي[50].

يمثل هذا الاحتجاج في الواقع رد الشيعة على العثمانية، لأن معاوية يتهم علي وأنصاره في رسالته بقتل عثمان، ويزعم أنه يثأر لدمه، فكتب إليه الإمام جواباً ردّ فيه على تلك التهمة باستدلال قوي والوثائق المنقولة عن ذلك العصر، التي ذكرت فيها عقائد هاتين الفرقتين الإسلاميتين مع أسسهما وردودهما فيما بينهما، كثيرة متوفرة[51].

منها: احتجاج الامام علي (عليه السلام) ضد الخوارج (الذين انشقوا بعد التحكيم، حيث عدوا هذا العمل غير مشروع، وكفروا علياً –ع– لقبوله التحكيم، فردّ عليهم الإمام –ع– مستدلاً بالقرآن والسيرة النبوية) وورد هذا الاحتجاج في كتاب الاحتجاج[52].

ونقل ابن عبد ربّه مناظرة جرت بين عبد الله بن عباس، والحرورية من الخوارج [53]، وذكرابن شهر آشوب (قال رجل لامير المؤمنين :لقد قدم الى حينا رجل زنديق يتكلم

بكلام لانعرفه وانا نخاف أن يبطل علينا ديننا ، فدعا بدواة وقلم وكتب :بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن ابي طالب وصي النبي الى عدو الله

أما بعد:فوق ذا العلم الذي نحن فيه– عالم اخر وملك يليه عالم واسع كبير عظيم –ليس نفس تطيق أن تبتليه) فلما قرأ الزنديق الكتاب هرب[54]

وفي مجال الرد على الخوارج، هناك مناظرة لعبد الله بن الزبير، نقلها ابن عبد ربه[55]، وهناك مناظرة جرت بين هشام بن الحكم وعبد الله بن إباض (رئيس فرقة الإباضية من الخوارج)[56]، ومناظرة جرت بين عمر بن عبد العزيز وشوذب الخارجي[57]، ومناظرة لمؤمن الطاق (تلميذ الإمام الصادق –ع– وصاحبه) مع الضحّاك الشاري من زعماء الخوارج[58].

واستمرت مثل هذه المناظرات في المراحل المتأخرة بين أتباع المذاهب الإسلامية، وكان عصر الإمام الصادق –ع– عصراً زاخراً بالمناظرات الدينية والمذهبية حيث راجت سوقها واتخذت طابعاً يلفت الأنظار، ووصلتنا مناظراته ومناظرات تلامذته مع الزنادقة والملاحدة، وكذلك مع الفرق الإسلامية، ومنها: مناظرته مع ابن أبي العوجاء[59]، واحتجاجه ضد الزنادقة[60]، واحتجاجه ضدّ المعتزلة[61]، واحتجاجه مع عمرو بن عبيد [62].

ازداد عدد الزنادقة وأهل الأهواء أيام المهدي العباسي (158–169هـ)، وكان مسلماً متعصباً، فانبرى لملاحقتهم وإبادتهم، ولأجل هذا الأمر حثّ ابن المفضّل أن يؤلف كتاباً في الفرق، وكان يقرؤه على الناس في باب الذهب ببغداد[63].

وراجت سوق المجادلات الدينية والمذهبية بشكل ملحوظ مع تولي المأمون إلى الحكم، لاسيما وقد كان من أهل هذا الفن، ومن المشجعين لعلماء الكلام، واشترك بنفسه في مناظرة مع الثنويين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى[64]، ونازل علماء عصره في جلسة أخرى للخوض في موضوع أفضلية الإمام علي(عليه السلام) بين الصحابة[65]، وأمر بعقد مجلس في مرو، وحثّ الإمام الرضا –عليه السلام– في أن يرد على عقائد سليمان المروزي[66]، وفي جلسة أخرى أيضاً، حثّه أن يناظر عالم اليهود، (رأس الجالوت)، وكبير النصارى، (الجاثليق)، وموبد المجوس، وعمران الصابي، وتجد أدلة كل واحد من هؤلاء مع أجوبة الإمام بشكل مفصّل في كتب التوحيد للصدوق، وعيون أخبار الرضا، واحتجاج الطبرسي، وبحار الأنوار للمجلسي[67].

لم يكن الباعث على ترويج علم الكلام بين المسلمين مبدئياً إلاّ الدفاع عن الدين،

لذلك فإن الكتب التي دوّنت من قبل المتكلمين في هذا الحقل، كانت تحمل عنوان الرد على المخالفين، أو تثبيت عقائدهم (المتكلمين).

ويبدو من المناسب هنا أن نشير إلى أمثله من هذه الكتب الكلامية التي تتحدث عن عقائد الفرق الإسلامية، وتعديل المذاهب المختلفة وتجريحها، ولعل أُولى الكتب التي وصلتنا حول الفرق وردّ المخالفين هي كتب الشيعة، تلتها بقليل، كتب المعتزلة[68].

فمن علماء الشيعة البارزين الذين ألفوا في الرد على المخالفين، وخاضوا في مبحث الإمامة بشكل خاص، فضلا عن مجادلاتهم ومناظراتهم الشفوية هو هشام بن الحكم الذي ورد قسماً من كتبه في فهرست ابن النديم، مثل كتاب: الإمامة، الرد على الزنادقة، الرد على من قال بإمامة المفضول ومؤمن الطاق، أبو جعفر، محمد بن النعمان الأحول الذي ألّف (كتاب الإمامة)، (وكتاب الرد على المعتزلة)،وابن قِبة، أبو جعفر محمد بن قِبة الرازي الذي ألّف (كتاب الإنصاف) في الإمامة، وأبو سهل النوبختي، إسماعيل بن علي بن نوبخت الذي ألف (كتاب الاستيفاء) في الإمامة، وفي نفس السنة ألف: (كتاب الرد على الغلاة)، (وكتاب حدوث العالم)، (وكتاب الرد على ابن الراوندي)، وابن أُخته، أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، الذي ألّف (كتاب الآراء والديانات)، و(كتاب الرد على أصحاب التناسخ)، و(كتاب الإمامة) [69]، وهشام بن سالم الجواليقي الذي ناقش أبا علي الجبّائي في موضوع الإمامة، وصنّف كتباً في ردّه، منها: (كتاب الإمامة) لبيان الفروق بين الإمامية والمعتزلة، وهكذا كان علماء الشيعة يؤلفون ويصنفون قرناً بعد قرن، حتى وصل الدور للشيخ المفيد الذي ألف أكثر من مائة كتاب في المواضيع الكلامية وردّ الفرق المخالفة، وجاء بعده تلميذه: الشريف المرتضى الذي ألّف كتاب (الشافي) في الرد على آراء المعتزلة في الإمامة، وكان قد أخذ بعض تلك الآراء من كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار[70].

وألف متكلموا الزيدية كتباً وفقاً لمذهبهم، ولاسيما في الإمامة (حيث يقولون بإمامة المفضول)، ومن هذه الكتب: (كتاب الإمامة) للحسن بن صالح بن حي (المتوفّى سنة 168هـ) وكان فقيهاً متورعاً، وأحد متكلمي الزيدية[71].

أما المعتزلة (أتباع واصل بن عطاء المتوفى سنة 131هـ) فقد كانوا أهم رجال حلبة الكلام والجدل الديني والمذهبي اعتباراً من منتصف القرن الثاني إلى عدد من القرون، وألفوا القسم الأعظم من الكتب في دحض وتفنيد العقائد الأخرى، ويعود السبب في ذلك إلى انهم كانوا يواجهون الزنادقة والملاحدة من الفرق غير الإسلامية أولاً، وثانياً: أصبحوا بعد ظهور

الأشاعرة (في القرن الرابع) وجهاً لوجه مع هذه الفرقة المجهّزة بنفس سلاح المعتزلة، وهو (المنطق وفنّ الجدل)، لذلك لابد لهم أن يتصدوا لرد أولئك المخالفين أو الإجابة على اعتراضاتهم في المجالس والمحافل أو في الكتب والرسائل، وهناك شخصيات من أعضاء هذه الفرقة، كانوا مشهورين أكثر من غيرهم وهؤلاء هم:

1-ابو هذيل العلاف، شيخ المتكلمين في البصرة (231هـ) وهو أول من شيّد عقائد المعتزلة على أصول وقواعد فلسفية، بلغ أوج شهرته في عصر المأمون.

2-النظّام، ابراهيم بن سيّار (المتوفى سنة 235هـ) تلميذ أبي الهذيل، ومعاصر المأمون العباسي، تنسب إليه فرقة النظّامية.

3-الجاحظ، عمرو بن بحر البصري، تلميذ النظّام، عمّر كثيراً و توفي 255هـ.

4-أبو جعفر الإسكافي (241هـ) صاحب كتاب نقض مقالات العثمانية وقد ردّ على الجاحظ في هذا الكتاب.

5-أبو عيسى الورّاق، محمد بن هارون (237هـ) صاحب (المقالات في الإمامة).

6-أبو علي الجبّائي (303هـ) رئيس المتكلمين في البصرة، ورئيس فرقة الجبّائية من فرق المعتزلة.

7-أبو هاشم الجبّائي (321هـ) نجل أبي علي الجبّائي، تنسب إليه فرقة البهشمية.

8-أبو الحسين الخياط (300هـ) أستاذ أبي علي، له رد على ابن الراوندي

9-أبو القاسم البلخي (319هـ) تلميذ الخياط.

10- القاضي عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي (415هـ)، كان قاضي الري من قبل الصاحب بن عباد و له مناظرات مع الشيخ المفيد في بغداد حول الإمامة، ونقاط الاختلاف بين الإمامية والمعتزلة و صنّف القاضي عبد الجبار أكبر كتاب كلامي عن المعتزلة، وهو كتاب (المغني) ويقع في سبعة عشر جزءاً.

11- أبو الحسين البصري (436هـ)، تلميذ القاضي عبد الجبار، له كتاب (المعتمد) في أصول الدين، وهو من أمهات كتب المعتزلة، ومن مؤلفاته: كتاب الأصول الخمسة، وكتاب الإمامة[72].

ألف هؤلاء، كتباً في ترسيخ عقيدة الاعتزال، والرد على سائر الفرق الإسلامية وردت أسماء هذه الكتب في فهرست ابن النديم، وتاريخ التراث الإسلامي للأستاذ فؤاد سزكين، وكتاب المعتزلة لزهدي حسن جار الله، ومعجم المؤلفين لكحّالة، ومعجم المطبوعات العربية

لسركيس، وكتاب أدب المعتزلة لعبد الحكيم بليغ، وطبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى المرتضى، وغيرها من الكتب.

وقد ضاعت أكثر هذه الكتب أو طواها النسيان في زوايا المكتبات، ولكن وصلتنا كتب ممتعة تعود لمتكلمي المعتزلة في عصورهم المتألقة الأخيرة (أعني: القرن الرابع الهجري وما تلته من القرون) وهي تتمحور حول تفنيد المذاهب ومنها:

1- كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي، للخيّاط المعتزلي، أستاذ الجبّائي.

2- شرح الأصول الخمسة تأليف: عبد الجبار الهمداني

3- المغني للقاضي عبد الجبار الهمداني، طبع منه اثنا عشر جزءاً في مصر. ويمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة موسوعة ضخمة في المباحث الكلامية: إثبات الخالق، صفاته، التكليف، النبوة، الإمامة، الفرق غير الإسلامية[73].

ونهض الأشاعرة في القرن الرابع برئاسة أبي الحسن الأشعري (260-324هـ) تلميذ الجبائي، والماتريدية بزعامة أبي منصور الماتريدي 333هـ، وذلك لمواجهة المعتزلة، وقاموا مع تلاميذهم بتأليف كتب في تفنيد المعتزلة، وسائر المخالفين لمذاهبهم، ومن تلاميذهم: الباقلاني (403هـ)، وابن فورك الأصفهاني النيسابوري (456هـ)، وإمام الحرمين الجويني (478هـ)، والإمام الغزالي (م505هـ).

ويعد الإمام الفخر الرازي (606هـ) أكبر عالم أشعري في عصره، بل يمكن عده وحيد مذهب الأشاعرة في الجدليات، والتشكيكات، ودقة الرأي والتحقيق، قام بتفنيد عقائد المعتزلة، وترسيخ معتقدات الأشاعرة في كتبه الدراسية، حتى انه وصل هذا العمل بتفسيره الكبير، كلّما صادفته مناسبة تخص الموضوع، ولعل حافزه على ذلك أسلوب الزمخشري (م537هـ) في تفسير (الكشّاف) حيث أن الأخير كان يتطرق إلى مباحث كلامية منوّعة، ولاسيّما صفات الباري -تعالى- التي تكررت في القرآن، وهي على رأس المباحث التي كان يدور فيها النزاع بين الأشاعرة والمعتزلة، وقام بتفنيد عقائد الأشاعرة، وترسيخ الأسس الاعتقادية للمعتزلة في تفسيره[74].

ولا يخفى فإن لهذا العمل سابقة موغلة في القدم، حيث نهض أبو مسلم الاصفهاني المعتزلي (459هـ) لتفنيد آراء مخالفيه، وذلك في التفسير العائد له، وقام معاصره الشيخ الطوسي (460هـ)، بنفس العمل في تفسيره: التبيان في تفسير القران حيث تعرض فيه إلى مباحث كلامية منها: في تفنيد عقائد الأشاعرة التي كانت تصطدم أكثر مع عقائد

الشيعة[75].

هناك كتباً خاصة قد دونت في المذاهب الإسلامية، والملل والنحل، من المناسب أن نذكرها بإيجاز، بيد أن من المناسب أيضاً أن نذكر قبل ذلك صنفاً آخر من مؤلفات الأقدمين التي تطرّقت إلى عقائد وآراء الفرق الإسلامية، وخلّفت لنا معلومات مفيدة، وتلك المؤلفات هي كتب التاريخ، وكتب الجغرافية الوصفية التي تخصّ البلاد الإسلامية، حيث نلتقي مع جزء منها بمعلومات قيّمة في هذا المجال: فمثلاً تحدث تاريخ الطبري بشكل مفصّل عن الخوارج وعقائدهم، والحركات الدموية للأزارقة، والقرامطة، ومذابحهم، والانتفاضات الزيدية وأتباع المذهب الزيدي من السادة الحسنيين، وتأسيس الحكومات الزيدية من قبل أدارسة المغرب، وتحدّث كذلك عن العلويين في طبرستان، وثورة يحيى بن الحسين الزيدي في سنة 228هـ باليمن، وبثّ المذهب الزيدي في تلك الأرجاء، وتحدّث أيضاً عن الاسماعيليين، وتشكيل الحكومة الفاطمية في أفريقيا سنة 297هـ، ثم تشكيلها في مصر والشام، وعن حركة المحمِّرة أو الخرمدينيين، وحركة الزنج في البصرة(254هـ) وغيرها، وجاء المؤرخون المتأخرون مثل ابن الأثير(630هـ)، وأبي الفداء(732هـ) بعد ذلك، فأتحفوه بمعلومات تفصيلية [76].

وذكر المسعودي (346هـ) في كتابه (مروج الذهب) معلومات مفيدة جداً عن الفرق الإسلامية وأرجأ التفصيل فيها إلى كتابه المفصّل (أخبار الزمان) [77]

وتحدث ابن عبد ربه (328هـ) في (العقد الفريد) عن القدريّة، والخوارج، وأصحاب الأهواء، والأزارقة من الخوارج، وكذلك يلاحظ في تاريخ اليعقوبي (292هـ) معلومات عن الفرق المذكورة[78]

المبحث الثالث

أسباب نشوء التيارات المتطرفة

روي عن ابن مسعود أنّه قال: «خط رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك وعن شماله ثم قال: «وهذه السُبل، ليس من سبيل إلاّ عليه شيطان يدعو إليه [79]«ثم قرأ: **(وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ)**» [80]، ويروى عنه (صلى الله عليه واله وسلم) وهو يذكّر الأُمّة بالسنن التاريخية وما جرى على الأُمم السابقة، قوله: «كل ما كان في الأُمم السالفة فإنَّه يكون في هذه الأُمّة مثله، حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة«[81].

وقال (صلى الله عليه واله وسلم) مفسراً قوله تعالى: **(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ)**[82] «حالاً بعد حال، لتركبنَّ سُنّة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقُذّة بالقُذّة، لاتخطئون طريقهم ولا يخطأ، شبر بشبر، وذراع بذراع، وباع بباع، حتى إنّه لو كان مَن قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى تعني يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: فمن أعني ؟ لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الأَمانة، وآخره الصلاة «[83]

لقد بلّغ الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الرسالة على أكمل وجه وكانت أفعاله وسنّته الشريفة محطّ أهتمام المسلمين مما لا يدع المجال للاجتهادات الشخصية أوالاختلاف، فلماذا إذن حدث التطرف والبدع من بعده: هذا هو السؤال الذي سنحاول اكتشاف جوابه في النقاط الآتية:

أولاً: المبالغة في التعبّد :

ونعني بذلك الخروج عن الحدّ المعقول في التعبّد لله تعالى، أو بعبارة أُخرى الاتيان بشيء مخالف لتعاليم الشريعة تحت عنوان الاجتهاد في العبادة لله تعالى ومن أمثلة ذلك:

1 . استأذن عثمان بن مضعون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الاستخصاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منّا من خصي أو اختصى، إنَّ اختصاء أُمّتي الصيام، إلى أن قال: ائذن لي في الترهب، قال: إنَّ ترّهب أُمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة»[84]

2 . روى الكليني عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من المدينة إلى مكة في شهر رمضان ومعه الناس وفيهم المشاة، فلما انتهى إلى كراع الغميم دعا بقدح من ماء فيما بين الظهر والعصر، فشرب وأفطر، ثم أفطر الناس معه، وثَمَّ أُناس على صومهم، فسمّاهم العصاة،وإنّما يؤخذ بآخر أمر رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) [85]

3 . روى جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان في سفر فرأى رجلاً عليه زحام قد ظُلِّل عليه، فقال (صلى الله عليه واله وسلم): «ما هذا ؟» قالوا: صائم، قال (صلى الله عليه واله وسلم): «ليس من البرِّ الصيام في السفر» [86]

4 . روى مالك(179هـ) في الموطأ: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: «ما بال هذا» ؟ قالوا: نذر أن لا يتكلم ولايستظلّ من الشمس، ولا

يجلس، ويصوم، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): «مروه فليتكلم وليستظلّ وليجلس وليتم صيامه»[87]

5 . روى البخاري عن قيس بن أبي حازم: دخل أبو بكر على امرأة، فرآها لا تكلَّمُ فقال: ما لها لا تَكلَّمُ ؟ قالوا: حجَّت مُصمتة، قال لها: تكلمي فإنّ هذا لا يحلّ، هذا من عمل الجاهلية فتكلّمت[88]

6 . روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه جاء زائراً لاَبي الدرداء فوجدأُمَّ الدرداء مبتذلة، فقال: ما شأنكِ ؟ قالت: إن أخاك ليست له حاجة في شيء من أمر الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء رحّب بسلمان وقرَّب إليه طعاماً، فقال لسلمان: أطعم، فقال: إنّي صائم، قال: أقسمت عليك إلاّ ما طعمت، فقال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، وبات عنده، فلما جاء الليل قام أبو الدرداء، فحبسه سلمان، وقال: يا أبا الدرداء، إنّ لربّك عليكَ حقاً، وانَّ لجسدك عليك حقاً، ولاَهلك عليك حقاً، فصُم وافطر، وصلِّ ونم، واعطِ كلَّ ذي حقٍ حقّه، فأتى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فأخبره بما قال سلمان، فقال له مثل قول سلمان [89]

7 . وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الصحابي سعد بن أشجع قال: إنّي أُشهد الله، وأُشهد رسوله، ومن حضرني، أنّ نوم الليل عليَّ حرام، والاَكل بالنهار عليَّ حرام، ولباس الليل عليَّ حرام، ومخالطة الناس عليَّ حرام، وإتيان النساء عليَّ حرام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سعد لم تصنع شيئاً، كيف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، إذا لم تخالط الناس، وسكون البرية بعد الحضر كفر للنعمة، نَمْ بالليل، وكُل بالنهار، والبس ما لم يكن ذهباً، أو حريراً، أو معصفراً، وآتِ النساء[90].

8 . روي البخاري عن أنس أنّه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما أُخبروا، كأنّهم استقلّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟، قال أحدهم: أما أنا فإني أُصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنّي لاَخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم، وأفطر، وأُصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني [91]

يتوهّم هؤلاء أنّهم بقيامهم ببعض الاَعمال ذات الطابع العبادي، يجهدون بها أنفسهم، إنّما يتقربون بذلك إلى الله أكثر مما لو اقتصروا على ماجاءت به الشريعة من الاَعمال

العبادية، ومثلما يتحدث القرآن الكريم عن الجهاد في سبيل الله، فإنّه يتحدث أيضاً عن نصيب الحياة الذي يجب ان يأخذه الإنسان من دُنياه: **(قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيّباتِ مِنَ الرّزقِ قُلْ هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ)** [92].

إنَّ القرآن الكريم وفي أماكن والقران الكريم متعددة يشجب ظاهرة الرهبنة وتحميل النفس للمشاق والصعوبات البالغة مما لم يأمر به الله سبحانه وتعالى، وفي مقابل ذلك وجّه الانسان والمجتمع نحو السلوك المتوازن الذي يحفظ معاً حقّ الله وحقَّ الناس وحقّ النفس، إنَّ ظاهرة الرهبنة تعبّر عن أوضح صورة لاعتزال الحياة وبالتالي انصراف الانسان عن دوره الرسالي التغييري، وهي تنشأ عادةً لدى الأَفراد بسبب الاعتقاد بأنَّ تكثيف الجانب الروحي العبادي على حساب الجوانب الأُخرى هو الموجب للاقتراب من رضى الله سبحانه وتعالى[93].

ثانياً: اتّباع الهوى:

إنَّ استعراض تاريخ حياة المتنبئين كذباً والكثير من المبتدعين يكشف بوضوح عن الدور الكبير للاهواء وحبّ الظهور والرئاسة أو السمعة في دفع هؤلاء إلى الابتداع، إنَّ المبتدع وإنْ لم يكن متنبئاً أو مُدّعياً للنبوّة إلاّ أنَّ عمله يُعدُّ نوعاً من أنواع التنبؤ، لأَنه يأتي بدين جديد، أو بشيء لم تفرضه الشريعة جزءاً من الدين، أو يحذف شيئاً جعلته الشريعة جزءاً من الدين، إنَّ بعض البدع تنشأ من الهوى، فقد خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام الناس، فقال: «أيُّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن: أهواءٌ تُتبع، وأحكام تبتدع، يخالَف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجالٌ رجالاً [94]

إنَّ رغبة الظهور تلعبُ دوراً كبيراً في حياة الانسان، وإذا ما انفلتت هذه الرغبة من القيود الشرعية، وتُركت تنمو وتتصاعد حتى تسيطر على مشاعر الانسان وتتدخل في رسم سلوكه العام فإنّها في نهاية المطاف ستدفع بصاحبها إلى ادعاء المقامات الرفيعة التي تختص بالانبياء.

روى ابن أبي الحديد : أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام مرَّ بقتلى الخوارج بعد معركة النهروان فقال: «بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام: الشيطان المُضلّ، والنفس الأَمارة بالسوء، غرتهم بالأَماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار» [95].

قال تعالى: **(ومَن أَضَلُّ مَمَّن اتَّبعَ هَوَاهُ بِغيرِ هُدىً مِّن اللهِ)** [96]

وقال تعالى: **(ولا تتَّبعِ الهَوى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ)** [97]

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما تحت ظِلِّ السماء من إلهٍ يُعبد من دون الله أعظم عند الله من هوىً مُتّبع»[98]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما أخافُ عليكم أثنتين: اتبّاع الهوى، وطول الاَمل، أما اتّباع الهوى فإنّه يصدُّ عن الحق، وأما طول الاَمل فيُنسي الآخرة»[99] وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم»[100] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يقول الله عزَّ وجل، وعزّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي، ونوري، وعلوّي، وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي، إلاّ شتّتُ عليه أمره، ولبّستُ عليه دنياه، وشغلتُ قلبه بها، ولم أوته منها إلاّ ما قدّرت له. » [101]

لقد شهد تاريخ الاسلام منذ قرون معارك وحروباً وانحرافات ومذاهب وفرقاً وبدعاً جاءت كلها بسبب اتّباع الاَهواء والابتعاد عن جادة الصواب.

لذلك كلّه كانت التأكيدات النبوية على محاربة هوى النفس، لاَنّ من تمكن من نفسه وسيطر على هواه يكون في منجاة من كل أنواع الظلالة والهلكة.

ثالثاً: التسليم لغير المعصوم

إنّ من أسباب نشوء التيارات المتطرفة: التسليم لمن هو دون المعصوم، وجعله في مصاف مصادر التشريع، لاَن غير المعصوم يصيب ويخطىء، وقد يكذب أحياناً فيكون التسليم لقوله واتّباعه سبباً للانحراف والابتداع والكذب على الله ورسوله، إنَّ النبي الاَكرم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، وكتابه القرآن الكريم خاتم الكتب، وشريعته خاتمة الشرائع، فلا حكم إلاّ ما حكم به، ولا سُنّة إلاّ ماسنّهُ، والخروج عن هذا الاطار يمهد الطريق للمبتدعين.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر إنّا لو كنّا نحدِّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّا نحدِّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم» [102]

إنَّ هناك ظاهرة في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام تستحق التأمل، وهي أنّ أي واحد منهم لم يتلق العلم كما يتلقاه الناس بالتطواف على المدن والحواضر والمدارس وحلقات

الحديث، بل إنّهم يتوارثون العلم أباً عن جدٍ حتى يتصلون بعلمهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي شواهد حياتهم ما يبعث العجب للدارس المحايد، حتى لقد تمكن الامام الجواد عليه السلام من أن يُفحم . وهو الذي كان لم يتجاوز من عمره عقده الأول . فحول العلماء والمحدّثين في زمن المأمون ممن طعنوا بإمامته، وقصة حواره معروفة دوّنتها كتب التاريخ [103] وهذا يعني أنَّ هؤلاء الأئمة الطاهرين هم الطريق الصحيح الموصل إلى المصدر الصافي والمعين النقي للسُنّة النبوية الشريفة وعلم الكتاب وتأويل القرآن وفهم التشريع.

الخاتمة :

بعد ان حددنا الجذور التاريخية لهذه التيارات وعلى ضوئها استطعنا أن نفرز التيارات المنحرفة التي جاءت دخيلة على تراثنا العربي الإسلامي ، عن التيارات التي ولدت ميتة في رحم الأمة الإسلامية ثم إبراز المواقف الواضحة منها ، وقد تحاشينا الإسهاب في عرض بعض المفردات التي قد تثير حفيضة قسم من الباحثين ، الذين لم يعتادوا المنهج النقدي ، فأحلت الأمر على المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع اليها بصورة مباشرة للوقوف على التناقض الحاصل في بعض مواردها او نصوصها وبخاصة العقائدية منها ، وقد تبين أن الخوض في غمار تلك التيارات المتطرفة يعود الى الحقبة التاريخية التي تلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وامتدت بعد ذلك إلى عدة عقود، وعلى الرغم من الأهمية البالغة التي تتميز بها تلك الحقبة الحساسة، حيث قد تشكلت فيها الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية للمسلمين إلا أنها لم تحظ بالاهتمام المرجو من قبل الباحثين والمفكرين، وأصبح الكثير من المثقفين لا يعرف سوى النزر اليسير عنها، وبالنسبة لبعض الدراسات القليلة المتناثرة التي دارت حولها فإن أساليب تناول تلك الحقبة قد تعددت واختلفت على نحو لا يروي ظمأ طلاب العلم والحقيقة، ولا يعينهم على استيعابها وإدراك أثارها، فهناك الاتجاه الأدبي الذي تناول تلك الحقبة بشكل ضيق محدود، وسار على منهج مميع لا يفضي إلى نتائج محددة أو مفاهيم واضحة عنها، وكان يفتقر إلى ميزان ثابت منبثق عن الدعوة الإسلامية ذاتها يمكن أن يقاس عليه وقائع تلك الحقبة، ولعل هذا الاتجاه كان يرمي إلى الناحية الأدبية اللغوية فحسب بعيدا عن الرؤى العقائدية، وهناك الاتجاه الصامت المنغلق الذي يرى عدم تناول تلك الحقبة بالبحث والدراسة مطلقا، بل وصل الأمر إلى حد التحذير من محاولة فحص وقائعها وأحداثها بحجة أن ذلك قد يقود إلى إساءة الظن ببعض

الشخصيات والتجمعات البارزة التي تنتمي إليها، وهناك الاتجاه الممالئ المتملق الذي دأب على مجرد المدح والإطراء، ولم يدخر وسعا في قلب الأمور رأسا على عقب وبتر الحقائق من أجل تصويب وقائع تلك الحقبة ومواقف أصحابها على نحو يصعب تصديقه أو التسليم به بالنسبة للقارئ العادي إلى غير ذلك من الأساليب والاتجاهات التي كانت غالبا ما تقصر عن الوفاء بأمانة البحث العلمي المحض الذي يؤدي في النهاية إلى توعية القارئ بطبيعة تلك الحقبة، وتوضيح الرؤية حولها، والخلوص بتقييم موضوعي لها، وتحديد علاقتها.

الهوامش :

[1]الشاكري ، حسين : الإمام جعفر الصادق (ع) (ايران ، قم ، مطبعة الهادي، ط 1 ، 1417هـ) 1/ 575

[2]سورة النساء : الاية 98 .

[3]التوبة : 101 .

[4]التوبة : 77 0

[5]التوبة : 97 .

[6]المنافقون : 8 .

[7] الشيخ محمد بن الشيخ عبد على آل عبد الجبار : الشهب الثواقب في رجم شياطين النواصب ، تحقيق حلمى السنان ، (ايران،زمستان ، مطبعة الهادي، ط1 ، 1418) ص 207.

[8]أحمد بن حنبل(241هـ) :المسند ، شرح احمد محمد شاكر(القاهرة ،دار المعارف للطباعة والنشر ، ط3 ، 1368هـ) 6/ 84 ؛ محمد عبد الجبار : الشهب الثواقب ص 154

[9] الترمذي(297هـ)، ابوعيسى محمد بن عيسى بن سورة :الجامع الصحيح(السنن) ، شرح ابو بكر بن ابي العربي المالكي،(بيروت ، دار العلم ، ط1، 1407هـ) 142/2

[10]القعب : إناء ضخم غليظ ويجمع على قعاب وأقعب ، الطبراني ،الحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد :المعجم الأوسط ، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني (الرياض ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع،1037 هـ) 2/ 748

[11]أحمد بن حنبل :مسند أحمد 2/ 264

[12]النجم : 1

[13]الحج : 52

[14]أبو داود(275هـ)، سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي السجستاني : السنن (القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ط1 ، 1371هـ) 1/ 209 ؛ البخاري(256هـ) ، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي :الصحيح : تحقيق قاسم الفاعي (بيروت ، دار العلم ، ط1، 1407هـ) 1/ 316

[15]محمد عبد الجبار : الشهب الثواقب ص 154

[16]البخاري :صحيح البخاري 1/ 317

[17]التوبة : 32

[18]حسين الشاكري : الإمام جعفر الصادق (ع) 1/ 575

[19]البغدادي ، عبد القاهر(429هـ): الفرق بين الفرق (بيروت ،دار الجبل، دار العلم،ط10) 70

[20]ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق الوراق : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد (القاهرة ، دار الحديث ، 1407هـ) 255 – 256

[21]ابو ريه ، محمود: أضواء على السنة المحمدية (القاهرة،دار التأليف ، ط1، 1377هـ) ص 194

[22]ابو ريه ، محمود: أضواء على السنة المحمدية ص 194

[23]الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين(حلب ، المطبوعات الاسلامية) 3/ 598

[24]أحمد بن حنبل : مسند أحمد 2/ 420 ، 422 ؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ) : الإصابة (بيروت،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى 1404 هـ) 3/ 459 .

[25]الأميني عبد الحسين أحمد النجفي(1309هـ) : الغدير في الكتاب والسنة والادب (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط3، 1387هـ) 6/ 188

[26]البيهقي، ابي بكر احمد بن الحسين بن علي(458هـ): السنن الكبرى (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى 1404 هـ) 8/ 156

[27]مشكور، محمد جواد : موسوعة الفرق الاسلامية (بيروت ، مجمع البحوث الاسلامية، 1375هـ) 8

[28]الكهف: 104

[29]مشكور : موسوعة الفرق 9

[30]مشكور : موسوعة الفرق 9

[31]المرجع نفسه ص 9

[32] الحكيم ، حسن عيسى : مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث (النجف ، الاداب ،1999م) 265-275

[33]- الزركلي:الاعلام 45/1

[34]- الحكيم ،حسن عيسى: مذاهب الاسلاميين ص 266

[35]مشكور : موسوعة الفرق 11

[36]- المسعودي، ابو الحسن علي (346هـ) :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: شارل (بيروت ،الجامعة البنانية ،1965م) 654/1

[37]- المجلسي، محمد باقر (1111هـ) : بحار الأنوار(بيروت ،دار أحياء التراث العربي،ط 2، 1362هـ) 299/10 -318.

[38]- الخطيب البغدادي، ابوبكر أحمد بن علي (463هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام (القاهرة،مطبعة السعادة،ط 1349،1هـ) 186/10.

[39]- الياسري، حسن طاهر ملحم: ولاية العهد للأمام الرضا(ع)(قم، دار الكتب الاسلامية) ص 89

[40]- الكشي، ابو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز(340هـ) : اختيار رجال الكشي (النجف ، الاداب) 258؛ المامقاني،عبد الله بن محمد حسن (1351هـ) : تنقيح المقال في أحوال الرجال (النجف،المرتضوية،1350هـ) 120/3

[41]- ولعل هذا الاعتدال هو سبب بقاء هذه الفرقة من بين فرق الخوارج إلى يومنا هذا اذ ينتشرون في شمال افريقيا (الجزائر، وليبيا، وتونس)، وفي عمان أيضاً.

[42]-اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب (292هـ) : تاريخ اليعقوبي (قم،منشورات الشريف الرضي، 1373هـ) 546/1

[43]- الطبرسي، ابو منصور أحمد بن علي بن ابي طالب :الاحتجاج (النجف، الحيدرية،1386هـ) 1/ 236

[44]- مشكور : موسوعة الفرق ص 12

[45]- الأعراف : 74.

[46]- الذهبي: تاريخ 33/1

[47]- الفجر: آية 6 و7

[48]- الذهبي: تاريخ 33/1

[49]- الذهبي : التاريخ 1/ 22

[50]- الطبرسي : الاحتجاج 176/1.

[51]-المصدر نفسه 176/1.

[52]- الطبرسي: الاحتجاج 185/1.

[53]-ابن عبد ربه : العقد الفريد ،تحقيق احمد امين واحمد الزين(القاهرة، 1381هـ) 232/2؛ ابن شهر آشوب ، رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي المازندراني :مناقب ال ابي طالب (النجف ، الحيدرية ، 1376هـ) 268/1.

[54]- متشابه القران ومختلفه (قم ، مطبعة أمير، 1310هـ) ص47

[55]- العقد الفريد 237/2.

[56]- ابن شهر آشوب : المناقب 268/1.

[57]- العقد الفريد 242/2.

[58]- المناقب 269/1.

[59]- الاحتجاج 335/2.

[60]- الاحتجاج 336/2.

[61]- الاحتجاج 365/2.

[62]- المصدر نفسه 367/2.

[63]- المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (413هـ) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات (تبريز ، مطبعة رضائي ، ط2 ، 1371هـ) 18

[64]- العقد الفريد 223/2.

[65]- القمي،محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(381هـ)عيون أخبار الرضا (بيروت،مؤسسة الاعلمي) 189/2

[66]- الاحتجاج 401/2.

[67]- المجلسي : بحار الانوار 2/ 215

[68]– المجلسي : بحار الانوار 2/ 216
[69]– توفي سنة 179 أو سنة 199هـ، الزركلي: الأعلام 45/1 .
[70]– ينظر: رجال النجاشي، وفهرست الشيخ الطوسي حيث ذكرت فيهما كتب الشيخ المفيد في الإمامة وغيرها.
[71]– الطبرسي:الاحتجاج 1/ 236
[72]– النجاشي ابو العباس احمد بن علي(450هـ):الرجال (، قم، مصطفوي، 1354هـ) 236/1
[73]– مشكور : موسوعة الفرق 14
[74]– الزركلي : الأعلام 251/2
[75]– حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب حلبي (1061هـ) : كشف الظنون(طهران،الاسلامية،ط3 ،1387هـ) 254/1 ؛ المجلسي : بحار الانوار 2/ 215
[76]– الطبري: تاريخ 351/2
[77]– المسعودي ،ابو الحسن علي(346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر(بيروت، اللبنانية،1965) 251/2
[78]– ابن عبد ربه : العقد الفريد 511/2
[79]السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (911هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت ، منشورات محمد امين) 3/ 56
[80]سورة الانعام :الاية 135 ،المجلسي: بحار الانوار 28/ 10
[81]المجلسي: بحار الانوار 28/ 10 وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة «، «مثل يُضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان» والقُذّة: ريشة الطائر كالنسر والصقر.
[82]سورة الانشقاق: الآية 19
[83]المجلسي: بحار الانوار 28/ 80
[84]الشاطبي ، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (790هـ): الاعتصام (القاهرة، المطبعة الرحمانية) 1/ 325.
[85] ا لكليني،ابو جعفر محمد بن يعقوب (329هـ):الكافي (طهران، مطبعة الحيدري،1379هـ) 4/ 127
[86]أحمد: المسند 3/319 – 399.
[87]مالك بن انس (179هـ) الموطأ (بيروت، دار الكتاب العربي،1375هـ) 9/ 309
[88]البخاري : صحيح 5/ 52
[89]المجلسي :بحار الانوار، 67/ 128
[90]المجلسي: بحار الانوار، 67/ 128 . 129
[91]البخاري : الصحيح 7/ 2
[92]سورة الاعراف:الايه 32–33
[93] الكليني: اصول الكافي 2/ 335
[94] المصدر نفسه 1/ 54
[95] ابن أبي الحديد،عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ابو حامد عز الدين المدائني(656هـ) : شرح نهج البلاغة(دار الكتب العربية ، ط1، 1378هـ) 19/ 235.
[96]القصص: 50
[97]صَ 26
[98]الهيثمي ،نور الدين علي بن ابي بكر(807هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(بيروت،لبنان،دار الكتب العلمية، 1408هـ) 188/1
[99] الكليني: اصول الكافي 2/ 335
[100]المصدر نفسه 2/ 335
[101]نفسه 2/ 335
[102] المفيد (413هـ):الاختصاص (بيروت . الأعلمي) 280
[103]الطبرسي: الاحتجاج، 465/2 . 482.

Conclusion:

After that we have identified historical roots of these currents and against which we were able to sorting out the actual deviant currents that came alien to the Arab and Islamic heritage, for currents that stillborn in the womb of the Islamic nation, and highlight the obvious ones positions, has Thahina dwell on display some vocabulary that may raise Hvidh section of researchers, who are unfamiliar with the cash method, Vohalt matter to the sources and references that can refer to it directly to find out the contradiction in some of their resources or texts, especially faith-based ones, have been shown to go into the midst of these extremist currents back to the historical period that followed the death of the Prophet (God's peace be upon him) and then extended to several decades, and despite the critical importance of which is characterized by those sensitive era, where political, social and cultural roots of the Muslims has been formed, but they have not received the desired attention by researchers and thinkers, and has become a lot of intellectuals do not know very little about them, and for some few scattered studies that took place

around the eating of that era methods may colorful and varied in a manner not tells the thirst of science and truth students, and help them to assimilate and grasp their effects, there is a literary trend, which dealt with that era narrowly limited, and walked on Curriculum thinner is not conducive to specific results or clear about the concepts, and lacked a constant balance emanating from the Islamic call itself can be measured by the facts of that era, and perhaps the trend was aimed at the literary language only away from the visions ideological, and there Silent direction closed that sees not eat that era looks absolutely and study, but it came to the warning limit of trying to examine the facts and events on the grounds that it could lead to abuse probably some dignitaries and groups to which they belong, and there direction Almmali flatterer who has just praise and praise, has spared no effort in the heart of things upside down and the amputation of the facts in order to straighten the facts of that era and the positions of the owners in a manner hard to believe or extradite him for the average reader to other styles and trends that were often fail to fulfill faithfully the purely scientific research, which ultimately leads to sensitize the reader the nature of that era, and visibility around, and concluded her objective assessment, and determine their relationship .